يؤكد سوسير بداية أهمية الكتابة بالنسبة لبحث اللساني فيما هو كوني ومشترك بين أكبر عدد ممكن من اللغات التي تلزمه معرفتها، هذه المعرفة، يراها لا تتم في الغالب إلا عبر الكتابة يقول: «إننا لا نعرفها (اللغات) عموماً إلا عبر الكتابة، وحتى بالنسبة للغتنا الأم، تتدخل الوثيقة في كل وقت، وحينما يتعلق الأمر بقول متكلم من مسافة ما، يكون من الضروري أيضاً، الرجوع إلى الشهادة المكتوبة..»[4].

تعتبر الكتابة حسب ما تقدم مجرد أداة عمل، يستحضر عبرها الباحث اللساني موضوعه، كوثيقة أو كشهادة، وإذا كانت الكتابة مهمة في هذا السياق، فإن سوسير يبرز استحالة القيام بتجريدها كصيغة يتم عبرها تصوير اللغة بدون انقطاع، مؤكداً على ضرورة الإقرار بأهميتها، وبعيوبها وأخطارها.

وانسجاماً مع تصوره المعروف للدليل اللساني، يؤكد سوسير تميز الكتابة عن اللسان «إذ هما نسقان متمايزان من الأدلة، والمبرر الوحيد لوجود الثاني (الكتابة) هو تمثيله للأول (اللسان). فالموضوع اللساني لا يتحدد بالجمع بين الكلمة المكتوبة والكلمة المنطوقة، هذه الأخيرة تكون الموضوع بمفردها...»[5].

يبرز سوسير في السياق ذاته أن للسان تقليداً شفوياً ثابتاً مستقلاً عن الكتابة، غير أن جاذبية الشكل المكتوب تمنعنا دائماً من رؤيته[6].

هذه الجاذبية يقوم سوسير بتفسيرها من خلال النقاط التالية:

1 ـ كون الصورة الخطية للكلمات، تطالعنا كشيء ثابت وصلب وأنسب من الصوت لبناء وحدة اللسان عبر الزمن.

2 ـ كون الانطباعات البصرية أكثر وضوحاً وأكثر دواماً، من الانطباعات السمعية لدى أغلب الأشخاص. ومن هنا تعلقهم بالانطباعات الأولى، الشيء الذي يقود إلى تميز الصورة الخطية على حساب الصوت.

3 ـ كون اللغة الأدبية تضاعف دائماً الأهمية غير المستحقة للكتابة، فلها قواميسها، وأنحاؤها، فعبر الكتاب وبالكتاب نعلم في المدرسة كما أن اللغة تبدو مقننة بسنن، ولكن هذا السنن بدوره يعتبر قاعدة مكتوبة خاضعة لاستعمال صارم: من خلال قواعد الإملاء، وهذا ما يمنح الكتابة أهمية قصوى، بحيث ننتهي إلى نسيان أننا نتعلم التحدث قبل أن نتعلم الكتابة.

4 ـ في حالة عدم التوافق بين اللغة وقواعد الإملاء. يبرز الشكل المكتوب بشكل قدري

(4) المرجع نفسه، ص 44.
(5) المرجع نفسه، ص 45.
(6) المرجع نفسه، ص 46.